استراتيجية العنونة في قصائد نزار قباني
مقاربة سيميائية في نماذج مختارة

الأستاذة : سكينة زواغي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة باجي مختار- عنابة

ملخـــص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الأهمية والأبعاد السيميولوجية للعنوان في شعر نزار قباني ، إذ يمثل العنوان في الدراسات الحديثة والمعاصرة العتبة الأولى التي يطأها الباحث في محاورته للنص الأدبي باعتباره تقنية إجرائية ناجعة في مقاربة النص لاكتشاف أغواره ومقاصده قصد استنطاقه واستكناه بنياته وأبعاده الدلالية والترميزية وتفجير علاماته وتتبع نظام علاقاته التكوينية التوزيعية الممتدة على طول نسيج النص وكشف خباياه.

الكلمات المفتاحية : العنوان - السميولوجيا - العلامة - الدال - المدلول - الشعر

Résumé :

Cette étude vise à mettre en exergue l'importance et les dimensions sémiologiques du titre dans la poésie de Nizar Qabbani. En effet le titre représente, dans les études modernes et contemporaines, le premier seuil franchi par tout chercheur dans son dialogue avec le texte littéraire.

Approcher le texte par le titre est une technique fiable par rapport au texte lui-même, pour sonder ses profondeurs et ses intentions, et découvrir ses structures .

Mots clés : titre - sémiologie - signe - signifiant - signifié – poésie

لقد أوضحت الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة ضرورة الاهتمام بإستراتيجية العنونة وإعطائها حقها من الدراسة والتحليل كما أثبتت أن قراءة النص وتحليله أمر يقتضي الإحاطة بكل جزئياته ولا سيما العنوان، فهو جزئية مهمة تقع خارج النص، وتلعب دورا هاما في مساعدة القارئ في محاورة النص والوقوف على أبعادة الدلالية واستكناه الظاهر والخفي وتقصي المسكوت عنه داخل النص.

وتعدّ السيميائية من بين المناهج النقدية التي اعتنت بدورها بإستراتيجية العنونة واعتبرتها مصطلحا إجرائيا ناجعا في مقاربة النص الأدبي، ومفتاح الولوج إلى أغوار النص العميقة، قصد تأويلها واستنطاقها.

لكل نص عنوان يتقدمه، ويعرّف به مثلما، لكل شخص اسمه ولقبه الذي يمثله ويدل عليه.

أمّا الأسماء فمنها ما يختار عن قصد وعن سابق معرفة ودراية بدلالته، ومدى مناسبته لصاحبه، ومنها ما يختار لأنه اسم جميل ومميز ورنان. ترى هل هي الحالة نفسها بالنسبة لعنوان النصوص ؟

من المرجح أن اختيار العنوان يتم بعد اكتمال التصور الكلي لأفكار النص على مستوى الذهن، وعليه فهل يجدر بنا أن نتساءل أيهما الأول العنوان أم النص؟

ومهما صعب على القارئ تقصي علاقة العنوان بالنص أو علاقة النص بالعنوان فلا بد له أن يعبر ولو جزء ضئيل أو بصمة فاترة تربط بين النص وعنوانه.

تتبادر إلى أذهاننا أسئلة كثيرة تخص علاقة العنوان بالنص، من بينها: هل يضاهي العنوان أهمية النص؟ وكيف يمكن أن نثمن الحضور الدلالي والوظائفي للعنوان؟

يعدّ العنوان أصغر كتلة لفظية مصاحبة للنص، ذات حضور مركزي، تمكنت مؤخرا من استقطاب أنظار النقاد والباحثين «وتضاعف الاهتمام بالعنوان في النص الأدبي الحديث على مختلف وجوهه الشكلية والبنائية والسيميائية، بعد التطور الكبير الذي حصل في الدراسات الأدبية والنقدية على إثر دخول المناهج النقدية الحديثة ميدان هذه الدراسات

حيث نبهت إلى حيوية العنوان وأهميته وخطورة وجوده على رأس النص، ودرجة تدخله في توجيه فضاء المتن وبناء معنى الخطاب الشعري من خلاله»[1]. ودرجة تدخله أيضا في توجيه القارئ إلى محاورة النص قصد اقتفاء أثر المعنى داخل كواليس النص، ومتاهاته الملتوية، لذلك فقد أمسى الاعتناء باستراتيجية العنوان أمرا ضروريا في الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة، عربية كانت أم غربية؛ لأن اجتماع النص وعنوانه يشكلان معاينة شاملة وبنية رحمية معادلية كبرى هي العنوان والنص، وهي بمثابة « بنية رحمية تولد معظم دلالات النص» [2]. وقد أثبتت بعض الدراسات أن طبيعة العنوان جملة كانت أم كلمة أم حرفا، « بمثابة الرحم الخصب الذي تفعَّل من خلاله المعاني وتولد دلالات النص»[3].

من أهم الباحثين والنقاد الغربيين الذين بحثوا في أهمية العنوان وطبيعة صلته بالنص؛ "رولان بارت Roland Barthes"، و "ليو هوك Leo Heok" و "جيرار جنيت G.Genette"، وأما الدراسات العربية فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، "جميل حمداوي" و"محمد مفتاح" و "عبد الله محمد الغذامي" و "محمد فكري الجزار" وغيرهم الذين أولوا للعنوان أهمية قصوى.

أما جميل حمداوي، فقد اعتبر العنوان الرأس الذي يعلو جسد النص وقد وضح ذلك بالخطاطة الآتية:

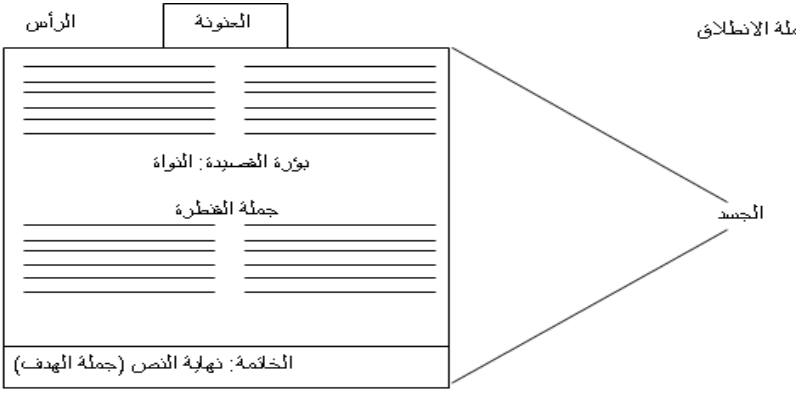

خطاطة رقم1 موقع العنوان من النص

بينما نظر الناقد "محمد فكري الجزار" للعنوان نظرة مغايرة إذ ركز فيها على ماهيته وليس على فعاليته يقول: « إن كل عنوان هو مرسلة message صادرة من مرسلة Adresse إلى مرسل إليه Adressé وهذه المرسلة محمولة على أخرى هي العمل فكل من العنوان وعمله مرسلة مكتملة ومستقلة»[5]. إنما قصد بالعمل النص؛ لأنه يحمل في حقيقته رسالة تربطها بالعنوان علاقة لا مرئية، وإنما فوق ضمنية يحددها النظام الهيكلي العام الداخلي للنص؛ فإذا كان كل نص رسالة من مرسل إلى مرسل إليه، فما الذي يمنع العنوان أن يحمل هو بذاته هذه الصفة ؟ سواء نظرنا إليها نظرة شمولية (تجمعه بالنص) أو نظرة جزئية (تعزله عن النص).

بينما يرى بعض الباحثين العرب أن العنوان يعد شهقة البدء بالنسبة للنص، وقد تحدث الدكتور "منقور عبد الجليل" عن ذلك مستدلا برؤية "محمد مفتاح" يقول: «إن العنوان يمثل نقطة المنطلق أو جملة المنطلق ... ذلك أن العنوان يلقي بظلاله الصورية والدلالية على القصيدة كلها lexeme principale وهو ما يعطي للقصيدة بناء هرميا وإن علم العنونة غدا في المقاربات السيميائية الحديثة أساسا مهما وأداة إجرائية في تأويل نسيج النص وقيمته الدلالية وذلك بالبحث عن الوظيفة la fonction relatiqunelle بين العنوان ومتن النص»[6].

أما إذا جئنا إلى الدراسات النقدية الغربية التي اشتغلت على أهمية العنوان فيجب أن نبدأ بالناقد الفرنسي "رولان بارت Roland Barthes"؛ إذ يرى بأن العناوين عبارة عن أنظمة دلالية سيميائية، وهي أيضا «رسالة مسكوكة مضمّنة لعلامات دالة مشبعة برؤية العالم يغلب عليها الطابع الإيحائي»[7]. الترميزي بالرغم من أنها قد ترد أحيانا في شكل كلمة واحدة ولم يغفل "رولان بارت Roland Barthes" ما يمكن أن يقدمه العنوان من خطوات إجرائية فعالة في قراءة النص، بل «ويصرّ بارت Barthes على أن هناك شيئا ما يقوم بدور مهم في فتح النص ويعطينا بعض المعلومات عنه»[8].

وقد اهتم أيضا الناقد الفرنسي "جيرار جنيت G.Genette" بدراسة العناوين «حيث أفرد لها فصلا خاصا في كتابه "عتبات"، فبعد سرد مفصل لتاريخية العنوان وبنائه خلص إلى أن للعنوان عموما أربع وظائف»[9].

إذا أمعنا النظر في مقولة "جيرار جنيت G.Genette يصح لنا أن نعتبرها طرحا نقديا مهما ودالا على أحقية دراسة العنوان، وعدم إهماله بل يجب إعطاؤه النصيب الأوفر من الفحص والتدقيق لا سيما وهو الخطوة الأولى التي تعترضنا ضمن خطوات الحوار مع النص؛ إذ «تشتغل العناوين وبخاصة في التداول الحديث، باعتباره علامات سيميائية مشحونة بالدلالات الرمزية والاحتوائية، هي عبارة عن أنظمة دلالية سيميائية تحمل قيما ثقافية وأيديولوجية واجتماعية»[10].

لم يقف جيرار جنيت G.Genette في حديثه عن العنوان عند حدود مدى تقاطعه مع النص، أو كيفية، تصنيفه، كما لم يفض أيضا عن حدود البحث في مدى انسجام النص وعنوانه فقط؛ إذ «المهم في العنوان هو سؤال الكيفية أي كيف يمكننا قراءته كنص قابل للتحليل والتأويل يناص نصه الأصلي؟ وهذا ما ناقش فيه (جنيت) كل من (كلود دوشي، ولوي هويك) كمختصين في هذا المجال بعد عرض رأيهما»[11].

لقد حقق جيرار جنيت G.Genette خطوة ناجعة بتحديده لمفهوم العتبات، وتركيزه على التقنيات الممكنة أو الطرائق التي سيتحسن بها دراسة العنوان، في علاقته بالنص، إذ اعتبره العكاز الذي يجتاز به القارئ عتمات النص.

ومن بين الدراسات التي سجلت بصمة ناجعة في دراسة العنوان دراسة الناقد "ليو هوك Leo Hoek" في كتابه "أثر العنوان" la marque du titre" «فقد سعى في دراسته إلى بناء نموذج لتحليل العنوان يرتكز على وصف الثوابت المستقرة للعنوان ... فالعنوان بناء على بنيته التركيبية وعناصره المعجمية والدلالية يمكن أن يفضي إلى تجنيس النص وإلى تحديد شكل دلالته وترجع هذه الأهمية إلى وضعيته الخاصة بالمقارنة مع العناصر الأخرى فهو أول عنصر يتم تبئيره في النص من طرف الكاتب الضمني»[12].

لقد اعتبر "ليو هوك Leo Hoek" أن العنوان هو جهاز مفاهيمي كامل يعين

القارئ في الوصول إلى معنى النص. يرى "ليو هوك Leo Hoek" بأن العنوان هو ما نسميه اليوم بـ Zadig أي العنوان الأصلي (1973) فكل ما يأتي في الجزء الأول قبل الفاصلة هو العنوان، أما الذي بعده فهو العنوان الفرعي (Sous titre)[13].

يصر "ليو هوك Leo Hoek" على تحديد وتوضيح موقع العنوان من النص وقد قدم له «تعريفا أكثر دقة وشمولا في كتابه "سمة العنوان"جاعلا إياه مجموعة من العلامات اللسانية، من كلمات وجمل، وحتى نصوص، قد تظهر لي رأس النص لتدل عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكلي،ولتجذب جمهوره المستهدف»[14].

لقد قدم "ليو هوك Leo Hoek" مفهوما للعنوان كما تمكن من تحديد أنواعه وأشكاله التي يظهر بها عادة، إذ يرد أحيانا كلمة مفردة، وأحيانا جملة، كما أشار إلى ضرورة دراسة العنوان باعتباره المعبر الرئيسي إلى قلب النص.

وبهذه الطريقة يصبح الوقوف على دراسة العنوان أمرا مكملا لقراءة النص، ولعل القارئ أدرك مقدرا الأهمية التي يوليها الباحثون لدراسة العناوين.

أليس العنوان مكونا أساسيا من مكونات النص؟ بلى، كما أن «دراسة النص وتحليله سواء كان شعريا أم نثريا تقتضي توظيف كل العناصر التي يمنحها سياقه، وما يمكن أن يقع في أحوازه من عوامل مساعدة من ضمنها العتبات... فمن باب أولى أن ينصب اهتمام المحلل الأدبي على عتبات النصوص الملحقة بشكل مباشر أو غير مباشر بها إذ من شأنها أن تساعده على المسك بخيوط ودلالات النص»[15].

وبهذا يمكن اعتبار قراءة العنوان متعة قد تضاهي المتعة التي تخالجك أثناء قراءة النص، خصوصا حين تقرأه وأنت خالي الذهن من كل ما يمكن أن يكون قد حيك حوله من قبل، وقد أشار سابقا "بارت Barthes" في كتابه "لذة النص" متحدثا عن متعة قراءة النص، قائلا: «ومتعة النص هي معرفة النص المتحرر من الشروح القديمة ... فلأن المتعة هي النص ولا تتضمن العلاقة المادية»[16].

ومن باب الاهتمام بدراسة العنوان وإثبات نجاعتها في دراسة النصوص، وقع اختيارنا على بعض النماذج لعناوين قصائد ضمن المجموعة الكاملة لنزار قباني؛ أولها.

العنوان الأول: قصة راشيل شوارزنبرغ

إن أهم ما يميز العنوان كبنية سطحية هو روحه القصصية المثيرة للانتباه لا سيما وقد تعلق الموضوع بقصة فتاة تدعى "راشيل سوارزنبورغ".

يتكون العنوان من جزئين، يتمثل الجزء الأول في كلمة "قصة"، الواقعة في بداية جملة العنوان باعتبارها العلامة الأولى التي تنبئ وتهيئ القارئ باستعداده لسماع أحداث قصة راشيل شوارزنبرغ.

راشيل شوارزنبرغ: العلامة الثانية المكونة للعنوان وهي في الأصل اسم دال على هوية حاملته، كما يحدد انتماءها إلى فئة من الفئات البشرية الأجنبية على الأرجح. يعني أن الاسم العلامة لا يشير إلى الهوية فحسب وإنما إلى العرق وإلى الانتماء العائلي بصفة خاصة باعتبار أن الأسماء والألقاب «هي العلامات الدالة على الهوية الأكثر شيوعا وبساطة، وتتكون معللة دائما إذ تعين الشخص انطلاقا من انتمائه إلى عائلة أو عشيرة أو مهنة»(سارتر الحياة، توفيق الصانع). أو بناء على سمة من سماته الجسدية (الأبيض الأعور)[17].

إن ابتداء هذا العنوان أو غيره بكلمة "قصة" أو ما شابهها مثل رواية، أو حكاية هو دافع قوى يدفع بالمتلقي بل يستفزه ويحفزه على الإبحار في عالم النص لمعرفة تفاصيل القصة، وعليه يمكن أن ندمج هذا العنوان ضمن إطار العناوين المغرية بما حقيقته كلمة "قصة" بمفردها من إضافة معتبرة إلى طبيعة العنوان، إذ يتساوى العنوان من حيث ثقله الدلالي مع النص ككل.

"قصة راشيل شوارزنبرغ" من أبسط الجمل التي يمكن أن تكون عنوانا، ولكنها في الوقت نفسه توضيحية تمهيدية قرينية، مرتبطة ارتباطا مباشرا بالنص إن قطعتها ينفصل القارئ بذهنه كليا عن كل ما يمكن توقعه إثر لحظة التأمل التي تجمعه بالنص، وإن وصلتها بهذه البساطة فإنك تختزل الكثير من عمر الزمن لتصل في مدة قصيرة وأكيدة إلى روح المعنى وتحدد تقنيات البوح داخل النص.

العنوان الثاني: "خبز وحشيش وقمر"

يتكون العنوان من ثلاث علامات مشفرة لكل علامة طبيعة مختلفة عن الأخرى، وتتشابه ثلاثتها نحويا فقد وردت كلها نكرات، ففيم تفيد النكرة، وهل يكشف النص عن أسباب النكرات الثلاث ؟!

أما النكرة الثانية حسب الترتيب الوارد في جملة العنوان هي "حشيش" في معناها السطحي هي كلمة عامة يعرفها العام والخاص مثلها مثل "خبز"، فمن منا لا يعرف معنى "خبز"؟ أما إذا قرأنا حشيش داخل النص فقد ينحصر مفهومها فيما يعمل على تشويش الدماغ، فهو ذلك المخدر الذي يعطل القدرات الإدراكية للمخ عن ممارسة وظائفها اليومية، فيشوش العقول، ويجعلها تسبح حالمة محلقة في الفضاء أو القمر، تداعب النجوم.

النكرة الثالثة هي "قمر" وهي العلامة الثالثة حسب الترتيب الوارد في جملة العنوان ترى ما بال هذا الكوكب الهادئ الجميل الذي يسعد لرؤيته كل شخص؟ وتسعد لطلته القلوب؟ وتحلم لاكتماله حين يصير بدرا؟ وتسحر به القلوب العاشقة التي تهيم بأحلامها في الليالي المقمرة كلما سنحت الفرصة؟ حين ننظر إلى التركيبة المفرداتية للعنوان تجدنا نتساءل ما الذي يربط بين هذه النكرات الثلاث غير حرف الواو ؟!

إن التساؤل المعنوي هو الرابط بين خبز وحشيش وقمر، لوجود علاقة الطبيعة النباتية بينهما (خبز وحشيش) لأن الخبز في أصله من حشيش ذو بداية نباتية، وثانيا لوجود علاقة الاخضرار بين كل من الأصل النباتي للخبز والحشيش معا، في حين يمكننا ضبط تباين معنوي بين خبز وحشيش/ وقمر إذ يطرح العنوان بهذه النكرات الثلاث مستويين أو فضاءين متباينين: أحدهما سفلي ويحدده خبز وحشيش، وثانيهما علوي ويحدده "قمر".

من الطبيعي أن الإنسان هو الواسطة التي تربط بين العالمين السفلي والعلوي، وهو أيضا القضية المحور الذي يطرحها نص "خبز وحشيش وقمر" قضية خمول المجتمع الشرقي وانشغاله بمتع النفس ورغباتها ممارسة كل وسيلة يمكن أن تعمل على تعطيل قواهم العقلية

فتحملهم ولو لساعات إلى القمر يتم فيها انفصالهم عن واقعهم الرديء ظنا منهم أنه السبيل الوحيد للهروب من رداءة الواقع الاجتماعي وهي أولى نقاط تقاطع العنوان والنص.

العنوان الثالث:" المهرولون":

إذا قرأنا العنوان من الناحية التركيبية فإننا سنعتني خلال حديثنا بضمير يمثل جماعة و يمثل فردا، إنه الضمير "هم" المهرولون.

المهرولون عنوان معرفة وليس من العناوين النكرة لقد حظي بوجود ألف ولام التعريف وعليه يصبح المهرولون فئة معروفة وليست مجهولة، كما إنها صفة وهي تقتضي غالبا وجود موصوف بقي في طي الكتمان ولم يعلن عنه العنوان بل هي مرحلة تم تأجيلها ليعتني به النص.

إن الموصوف المؤجل هو الحلقة المفرغة الممتدة بين العنوان والنص والتي ستشغل اهتمام القارئ وتكون محطة اهتمام.

المهرولون صفة مستشفة من هرول يهرول هرولة، وقد جاء في لسان العرب أن "الهرولة بين العدو والمشي وقيل الهرولة بعد العنق وقيل أيضا الهرولة الإسراع، الجوهري، الهرولة ضرب من العدو وهو بين المشي والعدو وفي الحديث من "أتاني يمشي أتيته هرولة"، وهو كناية عن سرعة إجابة الله عز وجل، وقبول توبة العبد ولفظه ورحمته، هرول الرجل هرولة بين المشي والعدو وقيل الهرولة فوق المشي ودون الخبب، والخبب دون العدو" [(18)].

يبدو أنها تعني العجلة من أجل بلوغ غاية ما تمثل الوجهين، الإيجابي والسلبي والمهرولون هم أولئك اللذين يعجلون ببلوغ أمر ما إما بدافع اضطراري أو بدافع اختياري.

لقد تكرر العنوان في النص بما يرادفه ثلاث مرات (ركضنا، لهثنا، تسابقنا) وجاءت كلها فاعل جمعا وهو نون المتكلم بدلا عن هرولنا المشتقة من (المهرولون).

بدل تكرار العنوان ومن العبارات التي ورد فيها ذكر العنوان بما يماثله من الألفاظ عبارة (ودخلنا في زمان الهرولة)[(19)] ثم عبارة "ما تفيد الهرولة"[(20)]؟ وقد تكررت مرتين.

وقد تكرر العنوان عبر تقنية الاستفهام الاستنكاري المتبوع بتوضيح يفضي إلى

نتيجة نلخص مفهوم الهرولة التي حدثت " بعد نكسة يونيو "حزيران 1967 ومرحلة التردي العربي بعد اجتياح إسرائيل لبيروت وتخاذل الأنظمة العربية اتسع الخرق على الراقع وزادت حدة قصائد نزار قباني ضد الهوان العربي الذي أوصلنا إلى مرحلة الهرولة للتطبيع مع إسرائيل رغم استمرار احتلالها لبعض الأراضي العربية وممارستها الوحشية ضد الشعب الفلسطيني[21] وخاصة القطاع، وما قامت به من فعل تدميري للبنى الاقتصادية، وتخريب للبنى الفلاحية، وتمزيق للبنى الاجتماعية.

العنوان الرابع: "هوامش على دفتر النكسة ":

أول ما نلاحظه على مساحة العنوان الأدبية هو تقاطع الشعري والسياسي الواقعي في قالب إيحائي ترميزي يستند إلى ثلاث علامات تعد القلب النابض للعنوان، وهي الدعامات الأساسية له. تتمثل العلامة الأولى في لفظة "هوامش" والثانية في لفظة "الدفتر"، والثالثة في لفظة "النكسة" وهي علامات متفاوتة في حضورها السيمي وفي علاقتها بالنص. لقد استطاع الشاعر أن يصوغ واقع الهزيمة العربية المثبتة تاريخيا في جملة شعرية تلخصها ثلاث علامات: الهوامش والدفتر والنكسة. ثم يتبع ذلك بعرض فني لكل أسباب الهزيمة في باقي النص.

يحضر العنوان في كل مشاهد النص الشعرية حضورا قويا ومختلفا؛ مختلف الصيغ والأساليب من مشهد لآخر ويتجلى ذلك في العبارات التالية:

1 - دلالة النفي الواردة في بداية النص وقد تكررت أربع مرات في المقطع الأول من القصيدة.

2 - تذكرنا لفظة النعي في كل مرة بكل ما يقود في سلوكنا إلى الهزيمة مثل قوله:

أنعي لكم...

نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة [22]

3 - يتجلى مفهوم النكسة، وهي إحدى مكونات العنوان، من خلال مفردة الهزيمة باعتبار النكسة وجها من أوجه الهزيمة.

4 - تعد النكسة ردة فعل طبيعية لكل هزيمة.

يتجلى العنوان في النص من خلال الاعتراف الوارد في النص بخسارة الحرب يقول:

إذا خسرنا الحرب، لا غرابة [23]

يمثل هذا البيت الاعتراف بكل حالات التقاعس العربي الذي أدى إلى الانتكاسة الحادة في أوساط العرب. ويشير بعبارة " لا غرابة " – وهي دلالة سيميائية ذات وزن – إلى ما يلي:

- معاقبة الذات ومساءلتها.
- جلد الذات العربية ومعاتبتها باعتبارها " خير أمة أخرجت للناس ".
- متابعة الاعتراف بأشكال التمزق الذي أدى إلى ضياع الوحدة العربية وهي إحدى أسباب النكسة.

تعدّ كل هذه الاعترافات، دلائل سلبية يمكن حصرها في بداية الأزمة لتأتي في الطرف الثاني من القصيدة الذي يمثل بداية الحل. فالقصيدة إذن مبنية على أسس ثلاثة أولها العنوان وثانيها بداية الأزمة وثالثها بداية الحل.

نأتي الآن إلى الوقوف "مع حالة الاعتراف بصيغة الإيجاب، أما الاعتراف بصيغة الإيجاب فيمكن إثباته كالآتي:

قوله: وأنتم الجيل الذي سيهزم الهزيمة [24].

فالقصيدة إذن مبنية بنظامين نظام سفلي تمثله علاقة الاعتراف بكل أسباب الهزيمة التي يمثلها جيل الهزيمة، ونظام أفقي يتمثل في ميلاد الجيل الغاضب الفولاذي، ويتقاطعان كليهما جيل الهزيمة وجيل التغيير في زاوية استراتيجية هي زاوية التفكير في بناء مستقبل الأمة العربية وتجاوز المحنة وتحقيق الريادة والنجاح.

العنوان الخامس: بريدها الذي لا يأتي:

إن أكثر ما يميز جملة هذا العنوان هو عنصر الزمن إذ يتراءى لنا أنه من زمن منتهٍ من حيث حركية الفعل وديناميةالأحداث. إنه زمن توقفت ثوانيه ودقائقه، إذ إن تمنُّع البريد عن الوصول ما هو إلا صورة من صور تجلّي الحركة الصراعية المحتجبة خلف دلالة العنوان الإجمالية ، فتظهر دوال العنوان حالتين متضادتين من حيث الرغبة والفعل :

أ - الرغبة المستترة في وصول البريد وتحقق الوصال.
ب - عدم الرغبة في وصول البريد وتعمُّد الحركة البطيئة، ويظهر ذلك في الأبيات الأولى من فاتحة النص:

تلك الخطابات الكسولة بيننا
خير لها ... خير لها ... أن تقطعا (25)

تعد حركة البريد البطيئة المتعمدة سمة من سمات فتور الإحساس لدى الطرف الثاني، ويتضح ذلك من خلال الكلمات الجافة والقليلة جدا التي تمنّ بها عليه، ونقرأ ذلك من خلال وجود علامات براقة مثل ما جاء في البيت الثامن ، يقول:

إني لأقرأ ما كتبت فلا أرى
إلا البرودة ... والصقيع المفزعا (26)

إن أبرز العلامات في هذين البيتين هما علامة "البرودة" وعلامة "الصقيع" بنعتها المتمثل في المفزع، كما أن أول ما نلاحظه على مستوى العلامتين البرودة والصقيع، وهو تشاكل معنوي صريح ينبئ بمماطلة الحبيبة ورغبتها في الإدبار لا الإقبال، ويمكن تمثيل تلك المماطلة وعدم الرغبة في وصول البريد بالخطاطة التالية:

حجرية الإحساس = انعدام التجاوب
بريدها الذي... لا يأتي الميت الذي لا يسمع = انعدام الإحساس توقف حدوث الفعل
البرودة والصقيع = انعدام الرغبة

يوحي البريد المتوقف بمبادرات سلبية صادرة عن الطرف الثاني تتمثل في الإهمال واللامبالاة، وفتور الشاعر ويظهر ذلك في البيت التاسع ، يقول:

حجرية الإحساس ... لن تتغيري
إني أخاطب ميتا لن يسمعا (26)

يتطابق توقف الزمن في الأبيات الفارطة مع توقف الإحساس، الأمر الذي دفع بالشاعر إلى أن يماثل في هذا الأمر بين برودة إحساسها وبين الميت وانقطاعه عن القيام عن كل

مثير في الحياة، وتدخل كل هذه الإيحاءات السيميائية ضمن حيز الانفلات الدلالي للعنوان الذي يَمْثُل على مستوى المدلول.

أما عن علاقة العنوان بالنص فإننا نلاحظ انتشارا سيميائيا للعنوان على مستوى مساحة باقي النص حين يقول في البيت السابع عشر:

هذا بريد، أم فتات عواطف ؟

إني خدعت ولن أعود فأخدعا [27]

ما يلاحظ على هذين البيتين هو التكرار اللفظي لبعض مفردات جملة العنوان في كلمة بريد ولاسيما أنها الكلمة المحور في جملة العنوان كلها، وها هي تتكرر مرة أخرى في البيت الواحد والعشرين:

أنا من هواك ومن بريدك متعب [28]

إن القصد من هذا التكرار هو إثبات حالة التمنُّع والسير البطيء للبريد، وهي صورة من صور تشظّي الزمن (زمن الإرسال) وتوقفه.

أما خاتمة النص فهي خاتمة تفسيرية للعنوان يقول:

إني أريحك من عناء رسائل

كانت نفاقا كلها... وتصنُّعا

الحرف في قلبي تزيف دائم

والحرف عندك ما تعدى الإصبعا[29]

بالنظر إلى جملة العنوان من حيث ظاهرها وباطنها وبالنظر إلى متن النص نستنتج أن زمن البريد زمنان ؛ زمن يمتطيه البريد وهو زمن متوقف منتهٍ، وزمن يمتطيه الإحساس وهو أيضا زمن منتهٍ بطريقة أخرى، أنه زمن الصقيع الخالي من حرارة الإحساس وكل ما يمتُّ إلى هذا الزمن بصلة إلى الحياة، إنه زمن الصقيع.

أما فيما يخص حركية انتشار العنوان عبر مساحة النص، فهي حركية سريعة وناجعة، وإذا أردنا أن نخلص إلى نتيجة نقول بأن العنوان يلخِّص أحداث النص، في حين أن النص ما هو إلا امتداد وانتشار تدريجي وفعلي لجملة العنوان.

بعدما حققه العنوان من انتشار دلالي مميز على مستوى النص يمكن أن نعتبر أن وظيفة الشرح هي أنسب الوظائف لعنوان (المهرولون) فإذا جيء بالعنوان بقصد الشرح والتوضيح يصبح النص امتدادا وانتشارا للعنوان.

خاتمـــة:

مما تقدم ذكره يمكننا أن نخلص إلى ما يلي:

- قراءة العنوان أمر ضروري إذ لا يمكن إقصاؤه سواء تعلق الأمر بالشعر أو بالنثر.

- حسن استثمار العنوان أمر متوقف على حسن استثمار تلقيه وتلقي وظائفه، فهناك من يقرأه مركزا على أبعاده المعرفية وعلاقتها بالنص؛ إذ تلخص بعض العناوين المتن وبعضها ينوب عنه، وبعضها يوحي بكل ما هو أساسي في النص، وبعضها الآخر يأتي تفسيريا توضيحيا، يمكّنك من اختزال الطريق الأنجع إلى قلب المعنى داخل النص، وبعضها يأتي انفعالي انتباهي أو جمالي فني.

- معظم العناوين تأتي في شكل علامات مشحونة بالدلالات الترميزية الإيحائية، يمكن أن تظهر وتكشف معنى النص.

- غالبا لا يمكن للقارئ المتمرن أن يستغني في دراسته للنص عن دراسة العنوان والبحث في طبيعة نظام العلاقات بينهما لأن العلاقة بينهما تكاملية بالدرجة الأولى.

لقد تبين من خلال مجمل العناوين التي حظيت بالدراسة في هذا المقال أنها مرتبطة ارتباطا دلاليا وثيق الصلة بنصوصها تحمل بداخلها مفاتيح الخطاب الشعري.

الهوامـــش و المراجـــع

1. أ.د. محمد صابر عبيد: سيمياء الخطاب الشعري، من التشكيل إلى التأويل، قراءات في قصائد من بلاد النرجس، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص 147.
2. leo Hoek. Description d'un archante préliminaire à une théorie du titre du nouveau roman. Un nouveau roman hier et aujourd'hui. 1 problème généraux paris. U.G.E. 10-18-1992, p.298.
3. عبد الله محمد الغذامي، القصيدة والنص المضاد، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996، ص 171.
4. جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، الكويت مج 25، عدد 3، ماي 1987، ص 108.
5. محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1998، ص 19.
6. منقور عبد الجليل، مقاربة سيميائية لنص شعري، قصيدة " فائقة " لنازك الملائكة. نموذجا، مجلة الموقف الأدبي، السنة الثانية والثلاثون، العدد 382، إتحاد الكتاب العرب سوريا ، ص 14.
7. جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، مج 25 ، عدد 3، مارس 1998، ص 100.
8. Roland Barthes, la sémiotique selon Robert Marty. www.Univ. Perp.EN./RCH/LSA/sémiotique Marty/so/4.ntm.p :10.

9. أحمد المنادي، النص الموازي، آفاق المعنى خارج النص، مجلة علامات ماي 2007 مج 16، ج 61 النادي الأدبي جدة، ص 149.
10. المرجع نفسه، ص 150.
11. عبد الحق بلعابد، عتبات (جيرار جنيت من النص إلى المناص)، تقديم د.سعيد يقطين، منشورات دار الاختلاف، ط1، 2008، ص 67.
12. عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر والتوزيع 2003، ص 53، 54.
13. عبد الحق بلعابد، عتبات (جيرار جنيت من النص إلى المناص)، ص 67.
14. المرجع نفسه، ص 69.
15. أحمد المنادي، النص الموازي، آفاق المعنى خارج النص، مجلة علامات ماي 2007 مج 16، ج 61 النادي الأدبي جدة، ص154.
16. بول ريكور، إشكالية ثنائية المعنى بوصفها إشكالية مميزة منطقية، وبوصفها إشكالية سير منطقية، ترجمة فريال غزول، مجلة ألف، مجلة البلاغة المقارنة، عدد 8 ربيع 1988، ص 139.
17. التهامي العماري: حقول سيميائية، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والآداب كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 2007، ص 29.
18. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج 11، ص 696.
19. نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ج3، منشورات نزار قباني، بيروت، ص 54.
20. المصدر نفسه، ص 54.
21. محمد ردوان، أسرار القصائد الممنوعة لشاعر الحب والحرية، نزار قباني، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، ط1، 2004، ص 92.
22. نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص 71.

23. المصدر نفسه، ص 75.
24. المصدر نفسه، ص 98.
25. المصدر نفسه، ص 512.
26. المصدر ننفسه، ص 512.
27. المصدر نفسه، ص 513.
28. المصدر نفسه، ص 513.
29. المصدر نفسه، ص 513.